المختصر في كتاب الاسبوع رقم 223

مـــــا وراء الأوهـــــام

تأليف إيريش فروم

ترجمة: الدكتور صلاح حاتم

عرض: أ. د. معن عبدالباري قاسم صالح- أستاذ علم النفس السريري (العيادي)

قسم الطب النفسي/ كلية الطب/ جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل (الدمام سابقا).

Maanslaeh62@yahoo.com

الكتاب خير جليس ، ومتابعة الجديد في حقل الاختصاص هو محور الاهتمام وتأكيد للتحديث المعلوماتي . في هذا الحيز الأسبوعي سنحرص لتكون لنا وقفة مع واحدة من الكتب المرجعية السيكولوجية(النفسية)في موضوعاتها وبشكل وجيز بقصد تحفيز روح البحث والمتابعة عند زملاء الاختصاص والمهتمين من القراء بالعلوم السلوكية.

هناك الكثير من الاراء والافكار النظرية التي قد تجاوزها الزمن أو لا تتفق مع السياق الثقافي والاجتماعي لواقعنا ، لكن المهم ان نتعرف على مخزون الارث العلمي الاختصاصي العالمي بمختلف مدارسه ونتعلم اساليبه المنهجية في التقييم والمناقشة

بعض الاقتباسات وخصوصا في موضوعات الحربين الاولى والثانية أوردتها لتشابه وقائع أحداثها من القرن العشرين وتراها تتكرر اليوم بنفس الظروف " وما اشبه الليلة بالبارحة" وهي دالة على قراءة تنبئية مبكرة فذة لدى المؤلف للتاريخ

لما كان هذا الكتاب لم يوضع لكي يكون نوعاً من السيرة التاريخي، بل ليكون نوعاً من السيرة "الفكرية" فإنني أود

هذا الكتاب من تأليف أيريش فروم (23 مارس 1900 – 18 مارس 1980) هو عالم نفس وفيلسوف إنساني ألماني أمريكي. ولد في مدينة فرانكفورت، وهو الابن الوحيد لوالدين يهوديين أرثوذكسيين،والتحق بجامعة فرانكفورت وهايدلبيرغ حيث درس فيها العلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفية. هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في 1934 . صدر هذا الكتاب باللغة الانجليزية في عام 1962 م، ترجم باللغة العربية(الطبعة الأولى) عام 2012 عن دار الحوار للنشر والتوزيع– سوريا– اللاذقية، وهو مكون من 231 على النحو التالي:

- الفهرسة
- الفصل الأول: بعض الملاحظات التمهيدية الشخصية
- الفصل الثاني: الأرضية المشتركة لنظريات ماركس وفرويد
- الفصل الثالث: مفهوم الإنسان ومفهوم طبيعته الإنسانية
- الفصل الرابع: التطور الإنساني
- الفصل الخامس: الدوافع الإنسانية
- الفاصلة السادس: الفرد المريض والمجتمع المريض
- الفصل السابع: مفهوم الصحة النفسية
- الفصل الثامن: الطبع الفردي والطبع الاجتماعي
- الفصل التاسع: اللاشعور الاجتماعي
- الفصل العاشر: المصير الآخر لنظريات ماركس وفرويد
- الفصل الحادي عشر: أفكار متجانسة
- الفصل الثاني عشر: شهادة واعتراف
- قائمة المراجع

نكتفي هنا في هذا التلخيص ببعض الإقتباسات المختصرة والتي نأمل ان تفتح شهية القراء للبحث والاطلاع عن الكتاب الممتع والغني بخبرة الممارسة السريرية من منظور التحليل النفسي وأحد أتباع هذه المدرسة وبقالب أكثر معاصرة ونقدية لها . بالطبع هناك الكثير من الاراء والافكار النظرية التي قد تجاوزها الزمن أو لا تتفق مع السياق الثقافي والاجتماعي لواقعنا ، لكن المهم ان نتعرف على مخزون الارث العلمي الاختصاصي العالمي بمختلف مدارسه ونتعلم اساليبه المنهجية في التقييم والمناقشة. على سبيل المثال نلاحظ هنا توضيح فروم عن طروحات المفكرين الالمان وتوضيحه للاخطاء الناتجة عن عدم فهم اللغة الالمانية وعواقب ذلك في تفسيرات نظريات وطروحات الفلاسفة والعلماء الالمان من قبل المجموعة الاثنية الاوربية الاخرى اشار تحديد هنا الى الانجلو سكسونية.(إكتفيت بإقتباس مختصر واحد هنا على سبيل المثال لا الحصر). بعض الاقتباسات وخصوصا في موضوعات الحربين الاولى والثانية أوردتها لتشابه وقائع أحداثها من القرن العشرين ونراها تتكرر اليوم بنفس الظروف " وما اشبه الليلة بالبارحة" وهي دالة على قراءة تنبئية مبكرة فذة لدى المؤلف للتاريخ.

- ليس من السهل الإجابة على السؤال عن سراهتمام المرء بتلك الميادين الفكرية التي باتت في وقت من الأوقات ذات أهمية وقد يكون الميل إلى أسئلة معينة غريزيا، وقد يكون تأثير أساتذة معينين أو أفكار ملحة خطيرة هي بنت ساعتها، وقد تكون تجارب ذاتية دلت على الاهتمامات اللاحقة. من يستطيع أن يجزم بأن أي عامل من هذه العوامل قد حُدَد طرق الحياة في المستقبل؟ ولو أراد المر أن يعرف الأهمية الخصوصية لكل هذه العوامل معرفة تامة لما كان في وسعه أن يحاول الإجابة إلا بسيرة مفصلة.ص-7

- ولما كان هذا الكتاب لم يوضع لكي يكون نوعاً من السيرة التاريخي، بل ليكون نوعاً من السيرة "الفكرية" فإنني أود أن أتناول بعض الحوادث والتجارب التي مررت بها في شبابي، وصارت مهمة لاهتمامي فيما بعد بنظريات ماركس وفرويد و بالشيء الذي يربطهما كليهما.ص-7

- أنني الطفل الوحيد لإب مزاجي قلق ولأم تميل الى الاكتئاب. ص-7

- لقد كبرت ونمت شكوكي. وسقط في الحرب بعض أعمامي وأبنائي ورفاق أكبر سنا مني. وأثبتت كذبها تنبؤات النصر للجنرالات وسرعان ما تعلمت فهم القال والقيل المريب عن "تراجعات استراتيجية"، و"الدفاع المظفر".ص11

- ألم تحارب ألمانيا التجسيد المجسم للعبودية والاضطهاد، أي القيصر الروسي؟ ص11

- لكن المجازر إستمرت ترافقها الوعود الكاذبة بنصر قادم ، وترافقها التوكيدات العاطفية للبراءة الخاصة والاتهامات الكاذبة للعدو الخبيث، كما ترافقها عروض السلام الكاذبة والعروض المنافقة المتعلقة بشروط السلام.ص-12

- كنت كلما طالت الحرب استحال الطفل فيَ إلى رجل، وصرت أشد إلحاحا في طرح السؤال: كيف يمكن أن يكون شيء كهذا؟ كيف يمكن أن يكون ذلك وملايين البشر ما زالوا في الخنادق لكي يقتلوا بشرا أبرياء من شعوب أخرى.ويمكنوا الآخرين من قتلهم، فيسببوا بذلك، أعمق الألم والعذاب، لآبائهم وأزواجهم وأصدقائهم؟ لم يقاتلون هم في الحقيقة؟ كيف يمكن أن يعتقد كل الطرفين أنهما يقاتلان من أجل السلام والحرية؟ كيف يمكن أن تشب حرب، حيث يدعي كل واحد أنه لم يرغب فيها؟ كيف يمكن أن تستمر الحرب، حيث يدعي الجانبان أنه لا يهمهما الفتوح بل الحفاظ على أرضهما وعدم المساس بها؟ ولكن، وكما تبين فيما بعد، ماذا لو أراد الجانبان أن يقوما بالغزو والفتح من أجل مجد قادتهما السياسيين والعسكريين؟ وكيف كان في مثل هذا الحال ممكنا أن يسلَم ملايين من كلا الجانبين أرواحهم للقتل من أجل توسيع الأرض و إرضاءً لغرور أي قائد من القادة؟ هل تنشب الحرب بمصادفة عقيمة ام أنها نتيجة لتطورات سياسية واجتماعية معينة، تخضع لقوانينها الخاصة بها، ويستطيع المرء أن يفهمها، حيث يعرف

أن أتناول بعض الحوادث والتجارب التي مررت بها في شبابي، وصارت مهمة لاهتمامي فيما بعد بنظريات ماركس وفرويد و بالشيء الذي يربطهما كليهما

لقد كبرت ونمت شكوكي. وسقط في الحرب بعض أعمامي وأبنائي ورفاق أكبر سنا مني. وأثبتت كذبها تنبؤات النصر للجنرالات وسرعان ما تعلمت فهم القال والقيل المريب عن "تراجعات استراتيجية"، و"الدفاع المظفر

كنت كلما طالت الحرب استحال الطفل فيَ إلى رجل، وصرت أشد إلحاحا في طرح السؤال: كيف يمكن أن يكون شيء كهذا؟ كيف يمكن أن يكون ذلك وملايين البشر ما زالوا في الخنادق لكي يقتلوا بشرا أبرياء من شعوب أخرى.ويمكنوا الآخرين من قتلهم، فيسببوا بذلك، أعمق الألم والعذاب، لآبائهم وأزواجهم وأصدقائهم؟ لم يقاتلون هم في الحقيقة؟

كيف يمكن أن تشب حرب، حيث يدعي كل واحد أنه لم يرغب فيها؟ كيف يمكن أن تستمر الحرب، حيث يدعي الجانبان أنه لا يهمهما الفتوح بل الحفاظ على أرضهما وعدم المساس بها؟

كيف كان في مثل هذا الحال ممكنا أن يسلَم ملايين من كلا الجانبين أرواحهم للقتل من أجل توسيع الأرض و إرضاءً لغرور أي

طبيعة هذه القوانين فقط؟ص-12

- كنت مقتنعا أنه يجب الشك في كل في كل شيء. لقد حاولت أن أتبين أي تجارب في شبابي أوجدت الشروط الاهتمامي الشديد بمذهب فرويد و ماركس على السواء.ص-13

- كلما تقدمت بالسن وازددت دراسة وعلماً ازدادت أخيراً شكوكي في مفهومات معينة في كلا المذهبين.وتبينت معالم اهتمامي الأساسي. لقد أردت أن أتعلم فهم القوانين التي تتحكم بحياة الفرد والمجتمع، وهذا يعني ما يتحكم بالبشرفي وجودهم الاجتماعي. وحاولت أن أحدد معرفة فرويد الباقية تجاه هذه الافتراضات التي تتطلب إعادة نظر. وجربت الشيء نفسه على نظرية ماركس، وتوصلت أخيرا إلى تركيب نتج عن فهم كلا المفكرين وعن نقد هما معا.ص13

- أنني أرى من الأفضل والأكثر قيمة أن أربط الملاحظة التجريبية الاكتسابية بالتأمل النظري(ثم إن الكثير من الإشكالية في العلوم الاجتماعية الحديثة، يرجع إلى أن هذه العلوم كثيرا ما تهمل التأمل في أكثر من ملاحظاتها التجريبية) لقد حاولت أن أنقاذ في تفكيري إلى ملاحظة الوقائع، واجتهدت في أن أعيد النظر في نظرياتي، حين بدا أن ملاحظاتي تتطلب ذلك . أما بخصوص نظريتي السيكولوجية، فقد كانت لدي قدرة ممتازة على الملاحظة ذلك لأنني محلل نفساني ممارس منذ أكثر من 35 سنة. لقد درست على أدق وجه سلوك البشري وتداعياتهما الحرة، وأحلامهم التي عالجتها وتناولتها من ناحية التحليل النفسي.ص-13

- لما كنت في الحادي عشر أو الثاني عشر من عمري، تناقشت في السياسة مع أحد الاشتراكيين العاملين في متجر والدي، ومنذ ذلك الحين وأنا أهتم بالسياسة اهتماما شديدا،على أنه اتضح لي دائما أنني بحكم مزاجي لا أصلح للسياسة أو العمل السياسي. ولهذا لم أمارس أي عمل سياسي على نحو مباشر، ولم أنضم إلا منذ قريب إلى الحزب الاشتراكي الأمريكي،أو حركة السلام على نحو أفضل كما بدا عالمنا يزداد جنونا وتجردا من الإنسانية، اشتد إحساس الفرد بالحاجة إلى أن يندمج مع رجال آخرين ونساء أخريات ارتبطوا مع بعضهم عن طريق الاهتمام بالأنسانية وأنا نفسي كانت لدي هذه الحاجة الشديدة، وكنت ممتنا للزمالة المشجع والمثيرة، زمالة كل أولئك الذي قُيَض لي أن أتعامل معهم. إن المرحلة التاريخية التي عشت فيها كانت لي مختبرا اجتماعيا، لم يتعطل قط.ص14

- أود أن أتكلم عن أفكار فرويد وماركس وعلى تصوراتهم النظرية، وعلى التناقضات بينهما، وعلى الكيفية التي يستطيع المرء أن يتوصل بها، بحسب رأي، إلى تركيب حين يحاول أن يفهم هذه التناقضات أو يلغيها. لقد كان ماركس وفرويد وآينيشتاين أيضاً بناة العصر الحديث. كان ثلاثة مشبعين بالاعتقاد بأن بنية الواقع منظمة تنظيما مبدئيا. فلم يرو في علم الطبيعة التي شكل الإنسان جزء منها أسراراً يجب إكتشافها فحسب ، بل نماذج وخططا كان ينبغي البحث عنها. ولا داعي للذكر أن شخصية ماركس ذات أهمية في التاريخ العالمي ولا يمكن مقارنتها بفرويد من هذه الناحية. وحتى لو حز في نفس مريء مثلي أن ، أن ماركسية مشوهة، مشينة، يقول بها نحن ثلث العالم ويدعو إليها(يقصد المعسكر الاشتراكي في القرن العشرين الذي زال في بداية التسعينات)، فإن هذا لا يقلل من أهمية ماركس التاريخية الفريدة.أرى ماركس مفكرا، أبعد غورا، وأكثر شمولا من فوريد.ص-15

- لقد استطاع ماركس أن يجمع بين الإرث الفكري لفلسفة التنوير الإنسانية، والمثالية الألمانية، وبين حقائق اقتصادية واجتماعية، وأن يضع الأساس لعلم جديد عن الإنسان والمجتمع مشرب في وقت في الوقت نفسه، بالتجربة وبروح التقليد الغربي، ذي النزعة الإنسانية. ومع أن معظم المذاهب، التي.تدعي الكلام باسم ماركس، ترفض وتشوه روح النزعة الإنسانية هذا .فإنني أعتقد أن عصر نهضة للنزعة الإنسانية الغربية سيعيد لماركس مكانته البارزة في تاريخ الفكر الإنساني، كما أود أن أبين في هذا الكتاب.ص-16

قائد من القادة؟

هل تنشب الحرب بمصادفة عقيمة ام أنها نتيجة لتطورات سياسية واجتماعية معينة، تخضع لقوانينها الخاصة بها، ويستطيع المرء أن يفهمها، حيث يعرف طبيعة هذه القوانين فقط؟

كلما تقدمت بالسن وازددت دراسة وعلماً ازدادت أخيراً شكوكي في مفهومات معينة في كلا المذهبين.وتبينت معالم اهتمامي الأساسي

لقد حاولت أن أنقاذ في تفكيري إلى ملاحظة الوقائع، واجتهدت في أن أعيد النظر في نظرياتي، حين بدا أن ملاحظاتي تتطلب ذلك

بخصوص نظريتي السيكولوجية، فقد كانت لدي قدرة ممتازة على الملاحظة ذلك لأنني محلل نفساني ممارس منذ أكثر من 35 سنة. لقد درست على أدق وجه سلوك البشري وتداعياتهما الحرة، وأحلامهم التي عالجتها وتناولتها من ناحية التحليل النفسي

لما كنت في الحادي عشر أو الثاني عشر من عمري، تناقشت في السياسة مع أحد الاشتراكيين العاملين في متجر والدي، ومنذ ذلك الحين وأنا أهتم بالسياسة اهتماما شديدا،على أنه اتضح لي دائما أنني بحكم مزاجي لا أصلح للسياسة أو العمل السياسي

- ولكن حتى لو أقر المرء بهذا كله، فمن السذاجة أن نغفل أهمية فرويد ذلك لأنه لا يبلغ حدَ ماركس أو يدانيه.فهو مؤسس علم نفس قائم في الحقيقة على العلم، وإن كتشافه العمليات اللاشعورية، والطبع الديناميكي للسجايا، مساهمة فريدة لعلم الإنسان، غيرت صورة الإنسان على مرة الأزمان.ص-16

- يمكن التعبيرعن الأفكار الأساسية المشتركة بين ماركس وفرويد في ثلاث حكم أو جمل قصيرة جامعة: اثنتان منها من أصل روماني والأخيرة من أصل مسيحي: الجملة الأولى هي: "على المرء أن يشك في كل شيء". والثانية: "لا شيء إنساني غريب عني – يترينس" والثالثة: "ستحرركم الحقيقة" (يوحنا 32.8) ص-19

- .لقد عدى ماركس بنيت المجتمع الاقتصادية والاجتماعية الواقع الأساسي بينما رأى فرويد هذه البنية محققة في تعضية الفرد الشهوانية(المتعلقة باليبيدو).على أن كليهما خالجه الشك المريرفي نفسه في كل العبارات المبتذلة، والأفكار والتسويغات والإيديولوجيات التي تمتلئ بها رؤوس البشر، وتكون الأساس لما يخدع الناس فيظنونه واقعاً.ص-20

- أراد ماركس أن يحرر البشرمن قيود التبعية والاغتراب ومن استعبادهم عن طريق الإقتصاد.على أن طريقته لم تكن العنف، كما ظن الكثيرون. لقد حاول أن يكسب تأثير الأكثرية لأفكاره. وبينما حقَ للمرء أن يستخدم، بحسب رأيه، العنف إذا ما قاومت الأقلية بعنف إرادة الأكثرية، فإن مشكلته الأساسية لم تكن كيف استطاع المرء أن ينتزع السلطة في الدولة، بل كيف استطاع المرء أن يكسب تأييد الناس لأفكار. ص20

- كما لم يرد ماركس أن يؤثر على البشر بفنون الإقناع الديماجوجية الدهماوية بأن يخلق عن طريق الخوف والإرهاب، أوضاعا، تتعلق بتنويم شبه مغناطيسي، بل توجه إلى الواقعية والحقيقة، وخاطبهما.إن المفهوم الذي يقوم على "سلاح الحقيقة" عنده، ونفس المفهوم عند فرويد. وهو أن الإنسان يعيش في أوهام، لان هذه الاوهام تهون ألم الحياة الواقعية.ص21

- إن " الوعي الزائف" ،-وهذا يعني صورة مشوهة للواقع- ليضعف الإنسان. أما الاحتكاك أو الاتصال بالواقع وتكوين صورة صحيحة عنه فيقويه. ص21

- إن القائد السياسي يجب أن يكون عالم اجتماع كاتباً في آن واحد.ومثلما كان القائد السياسي أن يكون في رأي ماركس، عالم اجتماع، فإن الطبيب النفساني، في رأي فرويد، يجب أن يكون قادرا على أن يقوم بأبحاث علمية.... إن المفتاح للعلاج الاجتماعي والفردي هي التوعية والتنبيه.ص22

- ان لسمة المشتركة لماركس وفرويد هي النظر الديناميكي والديلكتيكي إلى الواقع. ومعالجة هذا الموضوع أهم بكثير من أن فلسفة هيجل لم تكن في البلدان الأنجلوسكسونية موضوعاً، بحيث لا تفهم طريقة ماركس وفرويد الدينامية إلا بصعوبة.ص-23

- بما ان هتلرظفربعطف الحكومات الغربية، فإنه استطاع أن يقنع جنرالاته بقدراته الفذة وصحة خططه العسكرية.وحظي بتأييدهم للحرب عام 1939 التي توخت نفس الأهداف التي كان القيصر- الالماني- قد رمى إليها عام 1914. وبينما تعاطف الغرب مع هتلرحتى عام 1938، ولم يحتج على اضطهادات السياسية والعرقية، فقد تبدل الموقف لما تخلى هتلر عن سلوكه الحذر، وأقحم من ثم بريطانيا، فرنسا في الحرب.ومن هنا سعادة الانطباع بأن الحرب ضد هتلر، هي حرب ضد دكتاتور، لكن المسألة كانت كما في عام 1914، مسألة حرب على هجوم على الوضع الاقتصادي والسياسي للدول الغربية.ص29

- بعد الهزيمة أبتدع أن ألمانيا الأسطورة، إن الحرب العالمية الثانية كانت حربا على الديكتاتورية النازية، بأن تخلصت من أشهر زعماء النازية البارزين (ودفعت لليهود ولحكومة إسرائيل مبالغ كبيرة للتعويض).بهذا حاول المرء أن يبرهن أن ألمانيا الجديدة تميزت كل التميز عن ألمانيا القيصرية و

أود أن أتكلم عن أفكار فرويد وماركس وعلى تصوراتهم النظرية، وعلى التناقضات بينهما، وعلى الكيفية التي يستطيع المرء أن يتوصل بها، بحسب رأيي، إلى تركيب حين يحاول أن يفهم هذه التناقضات أو يلغيها.

لا داعي للذكر أن شخصية ماركس ذات أهمية في التاريخ العالمي ولا يمكن مقارنتها بفرويد من هذه الناحية

من السذاجة أن نغفل أهمية فرويد ذلك لأنه لا يبلغ حدَ ماركس أو يدانيه.فهو مؤسس علم نفس قائم في الحقيقة على العلم، وإن كتشافه العمليات اللاشعورية، والطبع الديناميكي للسجايا، مساهمة فريدة لعلم الإنسان، غيرت صورة الإنسان على مرة الأزمان

يمكن التعبيرعن الأفكار الأساسية المشتركة بين ماركس وفرويد في ثلاث حكم أو جمل قصيرة جامعة: اثنتان منها من أصل روماني والأخيرة من أصل مسيحي: الجملة الأولى هي: "على المرء أن يشك في كل شيء". والثانية: "لا شيء إنساني غريب عني – يترينس" والثالثة: "ستحرركم الحقيقة" (يوحنا 32.8)

أراد ماركس أن يحرر البشرمن قيود التبعية والاغتراب ومن استعبادهم عن طريق الإقتصاد.على أن طريقته لم تكن العنف، كما ظن

الهتلرية.أما في الحقيقة فلم يتغير، الموقف الأساسي، فالصناعة الألمانية هي اليوم قوية أيضا، كما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية، والأرض التابعة لألمانيا تقلصت أكثر فأكثر، ولا يزال الجيش الألماني نفسه، ولو أن المالكين والاشراف فقدوا أساسهم الاقتصادي في بروسيا الشرقية. فلا تزال القوى الكامنة وراء سياسة التوسع الإقليمي هي نفس القوى التي كانت عام 1914 و1939.ولا يزال لها اليوم طبيعة ديناميكية أقوى، كأن تطالب باستعادة الأراضي "المسلوبة". وإلى ذلك، تعلم الزعماء الألمان درساً. وهذه المرة تحالفوا منذ البداية مع الولايات المتحدة، عوض عن أن يكون من هوأقوى دول الغرب عدوا ممكن لهم. وتضامن هذه المرة مع أوروبا الغربية كلها، آملين أن يبرزوا من وسط ذلك كدولة قيادية لأوروبا الموحدة.بعد أن يكونو أقوى الدول على الصعيد العسكري والاقتصادي. إن أوروبا الجديدة، التي تقودها ألمانيا، ستكون توسعية أيضا، مثلما كانت ألمانيا القديمة، وسيكون في سعيها لاستعادة الأراضي الألمانية السابقة خطرا أكبر على السلام. إنني بهذا لا أود أن أزعم أن ألمانيا تريد الحرب.والمؤكد أنني لا أريد أن أزعم أنها تريد حربا ذرية.ص30

- أن الأرضية المشتركة التي انبثقت منها أفكار ماركس وفرويد، هي تصورات عن المذهب الإنساني والإنسانية التي تعود أصولها إلى التقليد اليوناني والروماني واليهودي والمسيحي. وقد وجدت من جديد مدخلا لها مع عصر النهضة إلى التاريخ الأوروبي وتطورت تطوراً كاملا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر .ص–31

- لقد إضر برؤية فرويد مذهبه في الحياة هذا المذهب المادي الديناميكي الذي لم تفسر فيه حاجات الإنسان إلا تفسيرا جنسيا. لقد كانت رؤية ماركس أوسع بكثير، ذلك لأنه أدرك تأثير المجتمع الطبقي المشوه، ولأنه أستطاع أن يتوصل إلى رؤية الإنسان غير المشوهة،وإمكانية تطوره في مجتمع إنساني. أما فرويد فقد كان مصلحا تحرريا، بينما كان ماركس ثوريا متطرفا.ومع أنهما كان مختلفين فقد عمرت صدريهما إرادة مطلقة لتحرير الإنسان، وثقة مطلقة أيضاً بالحقيقة كأداة للتحرر .وعمر صدريهما الأيمان بأن الشرط لتحرر الإنسان هو قدرة الانسان على أن يحطم قيود الوهم.–ص32

- مع من طبيب سيظن أنه قادر على أن يعالج كل إنسان، دون اعتبارأو مراعاة لسلالته أولون بشرته بنفس الطرق التي يعالج بها أناسا من بني جنسه .ص–35

- لن يكون في وسعنا أن نتخلص من الألم، إلا إذا اعطينا الجواب الصحيح، أي إذا تغلبنا عن وهم انفصالنا، وتغلبنا عن جشعنا، وصحونا، لكي ندرك الحقيقة الأساسية التي تتحكم بوجودنا. ص36

- إن سبينوزا أبا علم النفس الديناميكي الحديث.هو من بين الفلاسفة الذين سلموا "بنموذج للطبيعة الإنسانية" يمكن إثباته وتحديده، وتنتج عنه قوانين سلوك إنساني، وردود أفعال إنسانية.ص–36

- إن الإنسانية المتأصلة في الإنسان، ستقوده إلى مراحل تطورأعلى وأعلى.ص–36

- إن الإنسان ورقة لا يمكن وصفها وتكتب عليها الحضارة الموجودة في حينها نصوصها.ص–37

- لقد سمى فرويد الخلاص من التوتر المؤلم "لذة " Lust.وبعد تخفيف التوتر يتزايد لليبيدو ويشتد من جديد بسبب تفاعلات كيميائية في الجسد، وتنشأ بذلك الحاجة من جديد إلى تخفيف التوتر، وهذا يعني الحاجة إلى إشباع شهواني.ص– 39.

- إن الخلاف بين ماركس وفرويد من حيث فهمهما للتاريخ، واضح ملموس.فلقد آمن ماركس إيمانا صحيحا بقدرة الإنسان على الكمال، وبالتقدم الذي يضرب دوره في التقليد المسيحي، بدءا من الرسل، ومرورا بالمسيحية وعصر النهضة إلى فلسفة عصر التنوير. أما فرويد، لا سيما فرويد بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كان ريبياً. لقد رأى التطور الإنساني موسوما بميسم مأساوي. فما يقوم به الإنسان

الكثيرون. لقد حاول أن يكسب تأثير الأكثرية لأفكاره. وبينما حقّ للمرء أن يستخدم، بحسب رأيه، العنف إذا ما قاومت الأقلية بعنف إرادة الأكثرية

كما لم يرد ماركس أن يؤثر على البشر بفنون الإقناع الديماجوجية الدعاوية بأن يخلق عن طريق الخوف والإرهاب، أوضاعا، تتعلق بتنويم شبه مغناطيسي، بل توجه إلى الواقعية والحقيقة، وخاطبهما

مثلما كان القائد السياسي أن يكون في رأي ماركس، عالم اجتماع، فإن الطبيب النفساني، في رأي فرويد، يجب أن يكون قادرا على أن يقوم بأبحاث علمية.... إن المفتاح للعلاج الاجتماعي والفردي هي التوعية والتنبيه

بعد الهزيمة أبتدع أن ألمانيا الأسطورة، إن الحرب العالمية الثانية كانت حربا على الديكتاتورية النازية، بأن تخلصت من أشهر زعماء النازية البارزين (ودفعت لليهود ولحكومة إسرائيل مبالغ كبيرة للتعويض).

أن الأرضية المشتركة التي انبثقت منها أفكار ماركس وفرويد، هي تصورات عن المذهب الإنساني والإنسانية التي تعود أصولها إلى التقليد اليوناني والروماني واليهودي والمسيحي

دائما يؤول إلى الإحباط. فلو صار بدائيا مرة أخرى لفاز باللذة لا بالحكمة.وإذا ما استمر في تشييد مدينة أكثر تعقيدا، فإنه أكثر ذكاءً،على أنه سيكون لقاء ذلك أكثر شقاءً ومرضاً.ويرى فرويد التطور سيف ذو حدين؛ والمجتمع في نظره يسبب أضراراً كثيرة ، مثلما يفعل خيراً. بينما يرى ماركس المجتمع طريقا إلى تحقيق الذات؛ ومهما سببت مجتمعات معينة من أضرار.فالمجتمع، في نظره، شرطا لولادة الإنسان ونموه وتطوره.ويصبح "المجتمع الطيب" في نظر ماركس، مطابقا لمجتمع ناس أخيار ا، وهذا يعني أفرادا منتجين، أصحاء العقول و متطورين تطورا كاملا.ص-47.

- يكون الذهان (Psychosis) تلك الصورة لعلم الأمراض (الباثولوجية) التي تجتاح فيها الرغبات الطفولية والأخيلة والأوهام الأنا البالغ، بحيث أن حلا وسط بين العالمين يصبح محالا. وطبيعي أن ماركس لم يطور قط أي علم نفس مرضي، منظم، منسق، على أنه تكلم على صورة في للتشوه النفسي، التي هي، في نظرة تعبير أساسي عن المرض النفسي،.....،وهذه الصورة هي الاغتراب.ص-59

- ان العامل ليصبح أفقر، كلما أنتج ثروة أكبر، وزاد إنتاجه قوة وضخامة.ص-60

- كلما كد العامل وكدح صار العالم المادي الغريب الذي صنعه تجاهه أكثر بطشا، وأرهب جانبا، وصار هو نفسه أفقر، وقل انتماؤه لعالمه الداخلي، وضعف . ص-61

- بالعمل المغترب يتشوه الحر الواعي إلى عمل معترب، والحياة نفسها لا تبدو إلا أكلا وشربا.ص-61

- وحول تنشئة المستقبل أنها "ستربط كل الأطفال في سن محددة العمل المنتج بالدرس والرياضة، ليس فقط كوسيلة لزيادة الإنتاج الاجتماعي، بل كوسيلة وحيدة لإنتاج ناس متطورين تطورا مكتمل الجوانب". ص-63

- يفسد الاغتراب القيم الإنسانية كلها ويخربها. ويعلن الإنسان في مثل هذه الأحوال إن الفعاليات الاقتصادية والقيم التي تعمرها مثل "الكسب والعمل والتقتير والحصافة" أعلى قيم الحياة، وحيثما يحدث هذا، فلا يتأتى للإنسان أن ينمي ويطور القيم الأخلاقية الصحيحة للإنسانية التي تقوم "بغنى السرير النقية والفضيلة وغير ذلك".ص-65

- لقد تنبأ ماركس بوضوح عجيب كيف ستنقلب حاجات الإنسان في مجتمع مغترب الى ضعف وتبعية. وطبقا له، فإن عين الإنسان في الرأسمالية، "عين كل إنسان على أن يخلق للإنسان الآخر حاجة جديدة لكي يرغمه على تضحية جديدة لكي يضعه في تبعية جديدة، ويدفعه إلى طريقة جديدة للمتعة والدمار الاقتصادي بذلك. كل واحد يحاول أن يوجد قوة مادية غريبة فوق الآخر، لكي يجد في ذلك إشباعا لحاجات الذاتية.وبكميات الأشياء قد يتسع عالم الكائنات الغريبة التي يخضع لها الإنسان، وكل نتائج جديد وقوة جديدة للغش المتبادل، والنهب المتبادل. ويصبح الإنسان افقر من الإنسان، ويحتاج إلى مزيد من المال لكي يسيطر على الكائن المعادي، وتتناسب قوة ماله مع كمية الإنتاج تناسبا عكسيا. وهذا يعني أن فاقته تزداد بزيادة قوة المال. وعلى هذا، فإن حاجة المال هي الحاجة الحقيقية التي أنتجها الإقتصاد الوطني، و هي الحاجة الوحيدة التي ينتجها. إن كمية المال تصبح أكثر صفته الوحيدة القوية. وكما أنه حصر كل الكائنات بتجريده فإن حصر في حركته الخاصة على أنه كائن نوعي. فالإسراف والإفراط هما معياره الحقيقي. ويبدو هذا ذاتيا هكذا: يتحول مقدار المنتجات والحاجات العبد المبتكر الذي يحسب، ويقدر دائما إلى أسير شهوات لا إنسانية مغرية غير طبيعية و خيالية. وليس في إمكانية الملكية الخاصة أن تحول الحاجة المتوحشة العارمة إلى حاجة إنسانية ومثالية هي الوهم والتعسف والهوى. إن خصيا لا يتملق عن نحو أحقر وأوضع سيده المستبد، ولا يبحث عن وسائل أدنى وأحط وأخبط، ليثير قابليته الميتة للذة لكي ينال الحضوة، بالتملق والخداع – لهو مثل المنتج، خصي الصناعة يتوصل بكيده

لقد إضر برؤية فرويد مذهبه في الحياة هذا المذهب المادي الديناميكي الذي لم تفسر فيه حاجات الإنسان إلا تفسيرا جنسيا

أما فرويد فقد كان محللا تحرريا، بينما كان ماركس ثوريا متطرفا.ومع أنهما كان مختلفين فقد عمرت صدريهما إرادة مطلقة لتحرير الإنسان، وثقة مطلقة أيضاً بالحقيقة كأداة للتحرر.وعمر صدريهما الأيمان بأن الشرط لتحرر الإنسان هو قدرة الأنسان على أن يحطم قيود الوهم

لن يكون في وسعنا أن نتخلص من الألم، إلا إذا اعطينا الجواب الصحيح، أي إذا تغلبنا عن وهم انفصالنا، وتغلبنا عن جشعنا، وصحونا، لكي ندرك الحقيقة الأساسية التي تتحكم بوجودنا

لقد سعى فرويد الخلاص من التوتر المؤلم "لذة " Lust.وبعد تخفيف التوتر يتزايد لليبيدو ويشتد من جديد بسبب تفاعلات كيميائية في الجسد، وتنشأ بذلك الحاجة من جديد إلى تخفيف التوتر، وهذا يعني الحاجة إلى إشباع شهواني

إن الخلاف بين ماركس وفرويد من حيث فهمهما للتاريخ، واضح ملموس.فلقد آمن ماركس إيمانا صحيحا بقدرة الإنسان على الكمال، وبالتقدم الذي يضرب دوره في التقليد المسيحي، بدءا من الرسل، ومرورا بالمسيحية وعصر النهضة

ومكره و بطريقة غير مشروعة إلى قروش فضية، ويستدرك طيور الذهب لتخرج من جيب جاره المحبوب حبا مسيحيا- (إن كل نتاج وطعم يجر به المرء مال الآخر إليه، وكل حقيقية وكل حاجة، حقيقية أو ممكنة، هي ضعف سيقود الدبابة إلى قضيب الغراء- وإنه لا استغلال عامل لكائن الإنساني الاجتماعي، كما أن كل نقص إنساني هو صلة بالسماء إذا ما انفتح قلبه للكاهن، وكل عوز هومناسبة لكي يتقدم الإنسان بالمظهر اللطيف الرقيق إلى جاره، ويسأله: صديقي العزيز إني لأعطي كما أنت بحاجة إليه، على أنك تعرف الشرط الضروري الذي لا محيد عنه، أنت تعرف بأي حبريجب أن تبيع نفسك لي، فأنا أغبنك بأن أحقق لك المتعة)-ويستسلم لإحاط ما عنده من خواطر، ويقوم بدور القواد بينه وبين حاجاته ويثير فيه شهوات ورغبات مرضية، ويتحين كل ضعف فيه ليطلب عنئذ العربون لقاء هذا الصنيع الذي قام به بدافع الحب". إن الإنسان الذي يخضع على هذا النحو الى حاجاته المغتربة، هوكأئن مجرد من إنسانيته جسديا وذهنيا على السواء... وهو السلعة الآلية الواشية بالثقة.

- كلما تضاءل وجودك، قل تعبيرك و إعرابك عن حياتك، وزادت حيازتك، وكانت حياتك التي تم التنازل عنها أكبر، وكنزت المزيد من مخلوقك المغترب". ص67

- لعله من الجدير بالإشارة هنا أن يشير إلى العلاقة الوثيقة بين ظاهرة الاغتراب وظاهرة النقل.أوالاسقاط، الذي يمثل مفهوما أساسيا في مذهب فرويد. وكان فرويد قد راى أن المريض، يميل في علم التحليل النفسي إلى أن يقع في حب المحلل النفسي وأن يهابه أويكرهه، ويتم هذا كله دون مراعاة لشخصية المحلل الفعلية.ص-67

- إن الانسان الحديث انسان المجتمع الصناعي غير صورة عبادة الأصنام وشدتها. لقد أصبح موضوع قوة اقتصادية عمياء تتحكم بحياتة.ص-75

- في ضوء الإعتبارعند فرويد لا يعد إلا البدائي " صحيحا سليما". فهذا يشبع كل حاجاته الغريزية، من دون أن يضطر إلى أن يكبت شيئا، أو يتخلى عن شيء، ويسمو به ويصعده. (وفي أثناء ذلك أثبت اختصاصيو في علم الإنسان الأنثروبولوجيون أن صورة فرويد على الإنسان البدائي إنه إنسان يعيش حياة حرة، مليئة بالإشباع الغريزي، كانت تخيلا رومانسيا).ص-81

- إن لصورة ماركس عن الإنسان الصحيح جذورها في التصور الإنساني عن الإنسان المنتج الفعال، المستقل، كما طوره سبينوزا، وجه دة وهيجل. إن المظهر الذي تتطابق فيه صورة الإنسان عند ماركس وفرويد هومظهرالاستقلال.إن فرويد لا يؤمن إلا بالاستقلال محدود.ص-83

- فالهوى او الولع الانساني هو " القوة الحية للانسان ليسعى حثيثاً إلى موضوعه". ص-87

- إن اناسا استغلاليين لا ينتجون، أية أفكار؛ إنهم يسرقونها، ويمكن أن يحدث هذا على نحو مباشر في صورة سرقة أو انتحال، أو على، نحن أمكر بأن يغيروا في صياغة أفكارعبر عنها آخرون. ويدعون في مثل هذه الأحوال إنها أفكارهم. والملفت للنظر أنه كثيرا ما يحدث أن إناسا ذوي ذكاء كبير يتصرفون هكذا، مع أنه من الممكن أن تكون لديهم أفكار غاية في الجودة لو أنهم نظروا إلى موهبتهم فقط بأنها قادرة على شئ ما. وإذ افتقر إنسان موهوب إلى خواطر أصيلة، أو إلى استقلال في خلقه وإبداعه، فكثيرا ما يعزي هذا إلى مثل هذا الاتجاه للطبع، لا إلى نقص فطري في الأصالة.... لذلك يستغلون كل إنسان، ويستغلون كل شيء، وإن لم يتمكنوا من أن يجنوا إلا شيئا، نافلا.وشعارهم هو: "الثمار المسروقة هي الأطيب".ولما كان قصدهم تسخير البشر واستغلالهم، فإنهم يحبون حبا صريحا أو ضمنيا، أولئك الذين يعدونهم موضوعات استغلال "ويملّونهم " حالما يستنفذ دون كل شيء لديهم. والمثال المتطرف لذلك، هوالشخص المصاب بهوس السرقة، الذي لا ينشرح صدره إلا بأشياء مسروقة، مع إنه

إلى فلسفة عصر التنوير

أما فرويد، لا سيما فرويد بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كان ريبياً. لقد رأى التطور الإنساني موسوما بميسم مأساوي. فما يقوم به الإنسان دائما يؤول إلى الإحباط

يكون الذهان (Psychosis) تلك الصورة لعلم الأمراض (الباثولوجية) التي تجتاح فيها الرغبات الطفولية والأخيلة والأوهام الأنا البالغ، بحيث أن حلا وسط بين العالمين يصبح محالا

كلما كد العامل وكدح صار العالم المادي الغريب الذي صنعه تجاهه أكثر بطشا، وأرهب جانبا، وصار هو نفسه أفقر، وقل انتماؤه لعالمه الداخلي، وضعف

يفسد الاغتراب القيم الإنسانية كلها ويخربها. ويعلن الإنسان في مثل هذه الأحوال إن الفعاليات الاقتصادية والقيم التي تحمرها مثل "الكسب والعمل والتقتير والحصافة" أعلى قيم الحياة

إن الإنسان الذي يخضع على هذا النحو الى حاجاته المغتربة، هوكأئن مجرد من إنسانيته جسديا وذهنيا على السواء... وهو السلعة الآلية الواشية بالثقة

كلما تضاءل وجودك، قل تعبيرك و إعرابك عن حياتك،

يستطيع أن يقتنيها لنفسه.ص-99

- إن شعوبا بأسرها، وجماعات وطبقات، لها أيضا في داخل مجتمع معين، طباع مميزة، حتى لو تميز بعض الأفراد من بعضهم على نحو متعدد، وحتى لو كان بينهم أيضا عدد كبير من الناس الذين لا تتفقوا بنى الطبع عندهم مع البنية الشاملة للمجموعة الكلية: و أسمي هذا الطبع المميز لمجتمع ما " بالطبع الاجتماعي". والطبع الاجتماعي مثل الطبع الفردي، يمثل النماط النوعي الذي تُنظم فيه الطاقة، ويكون لها فيه منفذا أو متنفسا.ص-100

- لأ يقوم الإقتصاد الحالي على تحديد الاستهلاك، بل على أكبر قدر من الاستهلاك.ص-102

- صحيح أن الإنسان يستطيع أن يتكيف مع كل الظروف على أنه ليس ورقة فارغة تكتب الحضارة، نصها عليها. فطبيعته فطرت على حاجات مثل نشدان السعادة والانتماء والحب والحرية. وهناك أيضا عوامل دينامية في العملية التاريخية. فحين يهمل نظام ما اجتماعي حاجات الإنسان الأساسية،أو حين يخدله في تلبيتها وسدها، و يحبطها مجاوزاً قيمة حدية معينة، فسيحاول أعضاء هذا المجتمع أن يغيروا النظام الاجتماعي، بحيث يلبي حاجاتهم الإنسانية على نحو أفضل، وحين يستحيل مثل هذا التغيير، يتهدم هذا المجتمع بسبب الافتقار إلى الحيوية والنقص في قدرته على الهدم والتدمير.ص-104

- إذا كان هم المرء أن يجعل اللاشعور شعورياً، فالمهم قبل كل شيء، أن نعرف العوامل التي تعرقل هذه العملية.إن هناك عوامل كثيرة تصعب علينا أن نكون على بصيرة باللاشعور وعلى الفهم له.ومن مثل هذه العوامل هي الجمود العقلي مثلا، وانعدام الاتجاه الصحيح، والقنوط، وإنتفاء كل إمكانية في تغيير الظروف الخارجية. على أنه لا يوجد عامل واحد يصعب عملية جعل اللاشعور شعوريا، مثل الآلية التي سماها فرويد "المقاومة".ص-119

- ليس الوعي (الشعور) بما يؤثر في الحياة، بل الحياة تؤثر في الوعي والشعور.. .. "إن ما يؤثر في وجود البشر ليس وعيهم، بل على العكس إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يؤثر في وعيهم". صحيح أن الإنسان يظن أن أفكاره شكلت وجوده الاجتماعي، لكن الواقع هو العكس.ص-127

- بعد أن اتصف القرن التاسع عشر بمحاربة سلطة الكنيسة والدولة والأسرة قمنا في أثناء ذلك بدوران، كلي إلى الخلف وعدنا إلى انقياد، وإذعان جديدين. على إن هذا الانقياد لا يعود إلى شخصية ذات سلطة مستبدة، بل إلى منظمة أو مؤسسة." فإنسان المؤسسات" لا يفطن على الإطلاق إلى أنه يطيع؛ فهو يعتقد أنه لا يسير إلا وفق ما هو معقول وعملي. والحق ان العصيان قطع دابره تقريبا في مجتمع البشر المنظمين.ص-198

- إذا شكلت القدرة على العصيان بداية التاريخ الإنساني، فمن الممكن أن تشكل الطاعة نهايته.ص-199

- إن لاراء ماركس وفرويد معالم وأصدى مهمة. لقد كان لماركس فهم أعمق لطبيعة العملية الاجتماعية. وكان أكثر إستقلالية من فرويد عن أيدلوجيات عصره السياسية والاجتماعية اما فرويد فكان له بدور فهم اعمق لطبيعة العملية الفكرية للانسان ولطبيعة حالاته الوجدانية واهوائه، مع انه لم يتجاوز مبادئ المجتمع البرجوازي.

وكلاهما أعطانا الادوات لكي نحطم التصورات الوهمية للتسويغات والايدلوجيات وننفد غلى كنة الواقع الفردي والاجتماعي.ص-205

وزادت حيازتك، وكانت حياتك التي تم التنازل عنها أكبر، وكنزت المزيد من مخلوقك المغترب

كان فرويد قد راى أن المريض، يميل في علم التحليل النفسي إلى أن يقع في حب المحلل النفسي وأن يهابه أويكرهه، ويتم هذا كله دون مراعاة لشخصية المحلل الفعلية

إن اناسا استغلاليين لا ينتجون، أية أفكار؛ إنهم يسرقونها، ويمكن أن يحدث هذا على نحو مباشر في صورة سرقة أو انتحال، أو على، نحن أكثر بأن يغيروا في صياغة أفكار عبر عنها آخرون. ويدعون في مثل هذه الأحوال إنها أفكارهم

كثيرا ما يحدث أن إناسا ذوي ذكاء كبير يتصرفون هكذا، مع أنه من الممكن أن تكون لديهم أفكار غاية في الجودة لو أنهم نظروا إلى موهبتهم فقط بأنها قادرة على شئ ما

صحيح أن الإنسان يستطيع أن يتكيف مع كل الظروف على أنه ليس ورقة فارغة تكتب الحضارة، نصها عليها. فطبيعته فطرت على حاجات مثل نشدان السعادة والانتماء والحب والحرية

إن ما يؤثر في وجود البشر ليس وعيهم، بل على العكس إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يؤثر في وعيهم". صحيح أن الإنسان يظن أن أفكاره شكلت

وجوده الاجتماعي، لكن الواقع هو العكس

أنه حقاً كتاب جدير بالقراءة وننصح به كل زملاء الاختصاص في العلوم السلوكية وطلاب المرحلة الجامعية وأيضا الدراسات العليا بعلم النفس و تحديدا بعلم النفس السريري أو العيادي(الاكلينيكي) .

رابط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/BR223Maan-BehindTheIllusions.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/
المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2025 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن عشر)

الشبكة تدخل عامها 25 من التأسيس و 23 على الويب

25 عاما من الكدح... 23 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2024

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2024.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2024

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf
التحميل من المتجر اللالكتروني
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=295&controller=product&id_lang=3

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2025

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فترقى مجتمعاتنا فأوطاننا، فامتنا